المقدمة

يهدف هذا البحث إلى دراسة "الصفة" في اللغة السريانية، في إطار استخلاص الوظائف الصرفية والنحوية التي تحكم استخدامها؛ وذلك من خلال كشف الغبار عن مصطلحات وتعريفات "الصفة" الواردة في ثنايا المباحث السريانية المختلفة، وتدعيمها بمناهج علم اللغة الحديث المتمثلة في نظرية النحو الوظيفي The Theory of The Functional Grammar، كمحاولة لإكمال التراث اللغوي القديم وتفعيل علم اللغة الحديث حتى تتبلور أمامنا معالم "الصفة" في أكمل صورها.

ولا شك أن الدراسات اللغوية الحديثة – سواء في مجال النحو السرياني أو في مجال النحو المقارن – قد أثرت المكتبة العربية بالكثير من الأبحاث العلمية التي لا غنى عنها، بيد أن معظمها لم يعتمد حتى الآن على استقراء شامل لموضوع "الصفة" الذي يكتسب أهميته الأولى من تعدد الآراء حول كونه قسم مستقل من أقسام الكلام أم أنه تابع "للاسم" أم يندرج ضمن قسم "الفعل". ومن هنا يأتي سبب اختيار هذا الموضوع الذي تكمن أهميته في رصد خصائص الصفة في تراكيبها المختلفة، ومن ثم معرفة تصنيف "الصفة" - وفقًا لتعدد وظائفها - ضمن أقسام الكلام.

ويرجع السبب في اختيار المنهج الوظيفي إلى أهمية "علم اللغة الوظيفي" في دراسة وظائف العناصر اللغوية وتصنيف هذه العناصر على أساس وظيفتها، وهو ما يُشكل نمطًا من أنماط التحليل اللغوي يطلق عليه "التحليل الوظيفي" Analysis Functional [1]. فقد شهد القرن العشرون مدارس لغوية وصفية متعددة، حيث مرت اللسانيات الحديثة بثلاث مراحل أساسية وهي: النظرية البنيوية، النظرية التوليدية التحويلية، والنظرية التبليغية التواصلية. وقد سار التيار الوظيفي جنب إلى جنب مع المراحل التي قطعتها اللسانيات الحديثة، حيث ساير مرحلة البنيوية وتعايش مع التيار التوليدي التحويلي حتى وصل إلى نظرية النحو الوظيفي الذي تبناها سيمون ديك Simon C. Dik (1940– 1995) واتخذها الأستاذ "أحمد المتوكل" إطارًا نظريًا لأبحاثه المتعددة والتي حاول من خلالها أن يرسم معالم واضحة لنظرية وظيفية جديدة، فأصبحت نظرية النحو الوظيفي وريثًا للنظريات النحوية الوظيفية قبلها وبديلاً للنظرية التوليدية التحويلية بكل نماذجها.[2]

---

[1] الخطيب (أحمد شفيق)، المصطلح Linguistics وفروعه في أهم المعاجم العربية والإنجليزية المتخصصة في علم اللغة، مجلة كلية اللغات والترجمة، الأزهر، عدد19، 1989، ص 50.

[2] أسس النظرية البنيوية Structural linguistics فرديناند دو سوسور Ferdinand de Saussure، والنظرية التوليدية التحويلية Transformational Generative Grammar أسسها نعوم تشومسكيNoam Chomsky، والنظرية التبليغية التواصلية Ethnography of Communication أسسها ديل هيمس Dill Hymes، للمزيد: بعيطيش (يحيى)، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراة في اللسانيات الوظيفية الحديثة، إشراف: عبدالله بوخلخال، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، 2005.

للمزيد عن النظريات النحوية الوظيفية في مرحلة البنيوية والتوليدية التحويلية يُرجى الرجوع إلى: المتوكل (أحمد)، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، 1989، ص93 وما بعدها.

وتتميز نظرية النحو الوظيفي بأنها لا تقتصر على الدور الذي تلعبه الكلمات في الجملة أي الوظائف التركيبية أو النحوية، بل تتفاعل مع وظائف أخرى مقامية وتبليغية وهي الوظائف الدلالية والتداولية؛ وبهذا يكون النحو الوظيفي هو الجهاز المركب من محصلة الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية المتضافرة فيما بينها. بينما يكتفي النحو غير الوظيفي بتحديد وظائف بنية الجملة دون أن تمثل فيه الوظائف الدلالية والتداولية مفاهيم أولى مشتقة من المكون التركيبي.[1] ومن ثم، فإن تبني نظرية النحو الوظيفي قد يُساعد في معالجة القواعد الوظيفية التي تقوم بها الصفة في اللغة السريانية في جانبها الاستعمالي في اللغة.

وتكمن حلقة الوصل بين النحو الوظيفي والمنهج اللغوي السرياني القديم الذي تبناه السريان الأوائل، بأن الثاني في عُمق مفاهيمه ومنهجه فكر وظيفي، يعتمد في الأساس على ملاحظة قضاياه طبقًا لمعايير تركيبية دلالية، ومن ثم يقوم بتصنيف عناصر اللغة وفقًا لوظيفتها؛ فلم يغفل النحاة السريان - اعتمادًا على منهج النحاة اليونان - الربط بين البنية وبين الوظيفة الأساسية لعناصر اللغة؛ وهو صُلب المنهج الوظيفي.

وقد سار هذا البحث وفقًا لمنهجًا موحدًا وهو المنهج الوصفي؛ نظرًا لطبيعة الدراسة المستندة في الأساس على المدرسة اللغوية الوصفية الوظيفية Functional Linguistics .

تتشكل بنية البحث من فصلين يسبقهما مقدمة وتمهيد ويتبعهما خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع. جاء التمهيد ليضع أساسات هذه البنية في محاولة لإيضاح مفهوم "الصفة" من خلال ثلاثة أقسام؛ يتناول القسم الأول حدود الصفة لغةً واصطلاحًا كما عالجها النحاة العرب. ويتناول القسم الثاني حدود الصفة ومصطلحاتها كما عالجها النحاة السريان وذكر المعايير التي استخدموها في المصطلحات والتعريفات المتعددة، إلى جانب التعرف على موقع الصفة ضمن أقسام الكلام عند النحاة السريان، مع توضيح المغزى من ذكر الصفة ضمن القسم الخاص بـ "الاسم" عند السريان، بالإضافة إلى اعتبرها قسم مستقل من أقسام الكلام. أما القسم الثالث فيتناول مفهوم عام للنحو الوظيفي مع رسم صورة مُصغرة توضيحية للقواعد الوظيفية الأساسية التي بُنيت عليها فصول البحث، وأخيرًا قائمة بتعريف المصطلحات الخاصة بالنحو الوظيفي الواردة في البحث.

[1] انظر: المتوكل (أحمد)، من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1987، ص 5؛ وبعيطيش (يحيى)، ص 41.

openkanal.com

يتناول الفصل الأول دراسة "الوظائف الصرفية" للمشتقات التي تحمل معنى الصفة، وقد تضمن هذا الفصل خمسة أقسام تحتوي على دراسة للوظائف الصرفية الخاصة بـ: اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، صيغ المبالغة، وصفة التفضيل.

ويأتي الفصل الثاني تحت عنوان "الوظائف النحوية للصفة"، حيث يتناول الخصائص التركيبية والتداولية والبنية المركبية التصريفية للصفة داخل التراكيب المختلفة. وقد تم تقسيمه إلى مبحثين، يتناول الأول: الوظائف النحوية للصفة الفعلية العاملة عمل الفعل داخل المركبين الإسنادي والتقييدي، حيث تأتي الصفة الفعلية كأحد عناصر المركب الإسنادي التام المقصود لذاته وغير المقصود لذاته وهو ما يُعبر عن الصفة الخبرية بنوعيها المفرد والجملة. كما تأتي الصفة كأحد عناصر المركب الإسنادي الناقص الذي ينقسم بدوره إلى المركب المصدري والمركب الوصفي الذي يتكون من مشتق ومعموله فيشتمل على المركب الوصفي الإضافي "إضافة لفظية". وننتقل إلى المركب غير الإسنادي التقييدي الذي ينقسم إلى مركب تقييدي اسمي وآخر فعلي؛ وتأتي الصفة كأحد عناصر المركب التقييدي الاسمي سواء كان مركب توصيفي أي الصفة النعتية بأنواعها أو مركب إضافي "إضافة معنوية"، كما تأتي الصفة كذلك كأحد عناصر المركب التقييدي الفعلي لتقوم بدور الصفة الحالية. وينقسم المبحث الثاني إلى قسمين، يتناول الأول الوظائف النحوية للصفة الاسمية، والثاني الوظائف النحوية للوصف المؤول بالمشتق المعروف بـ "الصفة الوظيفية".

وقد واجهتُ بعض الصعوبات ـ التي لا يخلو منها أي بحث ـ فيما يتعلق بندرة الكتابات التي تناولت تطبيقات النحو الوظيفي المختلفة. أضف إلى ذلك، صعوبات جمة في محاولة إعادة تشكيل الوارد في تراث النحو السرياني وفقًا للاتجاهات النحوية الحديثة المتمثلة في النظرية الوظيفية.

وأخيرًا بل وربما ما كان جديرًا بأولوية الذكر، أنه ما كان لهذا البحث أن يظهر للنور لولا توفيق الله أولاً، ومن ثم ما حظيت به من دعم وتوجيه من قِبل أساتذتي الأفاضل وزملائي الأجلاء في قسم اللغة العبرية بجامعة عين شمس، ومن قِبل أساتذتي في مجال الدراسات السريانية بالجامعات المصرية الذين لم يبخلوا بمساعدتي بما توافر لديهم من كتب. والأمر الذي يستوجب التنويه عنه والإشادة به إحقاقًا لحق واعترافًا بفضل، أن أخص بالذكر كلاً من:

• الأستاذة الدكتورة/ بديعة علي فهمي العطار التي وضعتني على أول الطريق وكانت لي خير قدوة وخير مُعين، والتي لم تألُ جهدًا ولم تدخر وسعًا في الإشراف المتأني الدقيق في بدايات الدراسة فضلاً عن التوجيه الأكاديمي الرصين في المراحل التالية.

• دكتور/ عصام عيد المدرس بالقسم، والذي لم يبخل في توجيهاته السديدة ومساعدتي لتجميع المراجع الخاصة بنظرية النحو الوظيفي، مما كان له أكبر الأثر في ظهور الدراسة على ما هي عليه.

• الأستاذ الدكتور/ محمد الهواري الذي ما كان لهذه الدراسة أن ترى النور لولا جهوده الأمينة، والذي أمدني بكل أسباب المضي قدمًا على هُدى توجيهاته التي ذللَّت الكثير من العقبات وحالت دون الخروج أو الشطط عن موضوع الدراسة.

• الأستاذة الدكتورة/ ماجدة محمد أنور التي غمرتني بفيض علمها الغزير وسخاء عطائها الوفير، والتي أنارت لي طريق البحث من خلال الدعم والتوجيه والمتابعة والتشجيع على نحو صادق مخلص لا يتوخى سوى الوصول بالدراسة إلى الجدية والجدوى العلمية والمعرفية. أسأل الله أن يجازيها خير الجزاء على ما بذلته من جهد ووقت في تقويم هذا البحث وإخراج ما فيه من زلات.

لهؤلاء جميعًا أسأل الله أن يجازيهم عني أفضل الجزاء ولهم مني خالص الشكر وعظيم الامتنان ووافر الاحترام والتقدير.

obeikandl.com